حبيب بولس

بين الرسالة الإنسانيّة الوطنيّة والفكر الثقافيّ الأدبيّ النقديّ*

ريما أبو جابر-برانسي**

تعرضُ هذه الدراسة مسيرة الأديب والكاتب والمؤلِّف والباحث والسياسيّ والناقد الفلسطينيّ؛ د. حبيب بولس، سيرته، إنجازاته ومؤلّفاته الأدبيّة والنقديّة. وقد ارتأيتُ عرضَ كلّ مؤلّفاتِه حسب ترتيبها الزمنيّ، والتطرّق إلى فحوى كلّ إصدار لإبراز مجالات اهتماماته، والتأكيد على تنوّع دراساته وسعتها، وعلى دوره الرياديّ في مجال النقد العربيّ المحلّيّ في فلسطين.

يُعدُّ بولس مدرسة في النقد، ترك كمًّا هائلًا من الموروث الأدبيّ النقديّ، مشكّلًا تيارًا نقديًّا فكريًّا ماركسيًّا لا يُمكن تجاهله، كما لا يمكن خوض مجال الأدب الفلسطينيّ دون التعريج على هذا التيّار والاستفادة ممّا يعرضه بولس فيه من نقد للشعر، القصّة، المسرح، الموشّح، النقد والأدب عامّةً.

حياته

أديب وكاتبٌ ومؤلّفٌ وباحثٌ وسياسيٌّ وناقدٌ فلسطينيّ. ولد في قرية كفر ياسيف عام 1948، نشأ وترعرع فيها وفي ذلك يقول "في هذه القرية ترعرعتُ واصلبّ عودي وصُقلتُ رجلًا يختصر عِلمَها وأخلاقها ويحملها في حنايا القلب؛ بلدًا وأهلًا أينما ذهب

---

* رافقت هذه الدراسات بعض الصعوبات في إيجاد المادّة الكافية عن سيرة الكاتب د. حبيب وتجميع كافّة كتبه وإصداراته، وقد ساهمت السيّدة ناهدة بولس، زوجة الدكتور حبيب بولس بتزويدي بالمعلومات والمصادر التي لم أتمكّن من العثور عليها، فلها الفضل في سدّ العديد من الثغرات، والشكر والتقدير على اهتمامها بالأدب ودعمها وتأكيدها على دور المرأة في المساهمة والعطاء والدعم.

** باحثة ومحاضرة – كلية أورانيم.

وحيثما حلَّ". تخرّج من مدرسة يَنّي الثانويّة عام 1966، وأكمل تعليمه في دار المعلّمين العرب في حيفا، وتخرّج عام 1968. مرّت كفرياسيف عام 1981 بأحداث مؤسفةٍ، على أثر شجارٍ فئويّ طائفيّ كان الانتقام، بعدَه، من أهل العلم والثقافة في البلدة، فأُحرِق بيت بولس، أمام مرأى العين، ونال الحريق من مكتبته الخاصّة وما احتوت عليه من كمٍّ هائلٍ من الكتب، فترك كفرياسيف على مضض، وطوّفَ وراء العلم، لا يملك عملًا ولا بيتًا. اضطرّ للعمل من جديد، استأجر بيتًا في عكّا، ثمّ عُرضَ عليه العمل في الناصرة فقَبِل ذلك، وانتقل للسكن في مدينة الناصرة عام 1983. وبدأ يعيش الاستقرار والهدوء ورُزق بابنتِهِ نجوان وابنهِ العبد، نجمتي الصباح والمساء كما يصفهما؛ فصفت الدنيا واستقرّ الحال.[1]

عمله:

عمل في سلك التربية والتعليم سنوات عديدة، التحق في العام 1973 بجامعة حيفا ليدرس موضوع اللغة العربيّة وآدابها، وحصل على اللقب الجامعيّ الأوّل في العام 1977، ثمّ التحق بجامعة تل أبيب ونال اللّقب الثاني منها. كما حصل على منحة تعليميّة من معهد الاستشراق في جامعة لايبزغ لاستكمال دراسته للقب الثالث في موضوع الأدب العربيّ من ألمانيا عام 1982. كتب أطروحته عن أدب الكاتب الفلسطينيّ الراحل غسّان كنفانيّ، وقدّمها في العام 1985 ودافع عنها في العام 1987 لينال إجازة دكتور في الأدب العربيّ الحديث بتاريخ 1987/3/23.

عمل مفتِّشًا للغة العربيّة لمدّة ثلاث سنوات في لواء الشمال، ومحاضرًا للأدب العربيّ في عدّة مؤسّسات عالية. وإلى جانب هذا، فقد أشغل عدّة مناصب منها: عضويّة

[1] هذه المعلومات مأخوذة من كلمة الدكتور حبيب بولس في حفل تأبينه الّذي سبق وفاته بثلاثة شهور، وأقيمَ في قاعة المركز الثقافيّ في كفرياسيف، بدعوة من مطرانيّة عكّا والكنيسة الأورثوذكسيّة في كفرياسيف.

نقابة الأدباء، وعضويّة الاتّحاد العامّ للكتّاب وسكرتير لجنة متابعة قضايا التعليم، ورئيس معهد الأبحاث على اسم الدكتور إميل توما، ومحرّر مجلّة "دارنا" للكلّيّة العربيّة في حيفا، وعضو هيئة تحرير مجلّة "الجديد" المسؤول عن قسم النقد. كما كان عضوًا في مجلس "هبايس" للتربية والفنون، الذي ينحصر عمله، كما صرّح بولس للاتّحاد،[1] في دعم المؤسّسات الإبداعيّة والثقافيّة في إسرائيل مادّيًّا، وفي تطوير البرامج الفنّيّة والثقافيّة. وقد كان بولس آنذاك العضو العربيّ الوحيد في المجلس، واعتبر ذلك بمثابة مسؤوليّة كبيرة تُلزمه بالعمل على تطوير البرامج الفنّيّة والثقافيّة في الوسط العربيّ.

حصل على جائزة الإبداع عام 1992، وعلى منحة للأبحاث من جامعة "إيست إنجليا" في إنجلترا. وفي السنوات الأخيرة من حياته حصل على درجة "محاضر كبير أوّل"، من لجنة تعيين الألقاب الأكاديميّة المُنبثقة عن وزارة التربية والتعليم.

وفاته

توفّي بولس في الرابع من تمّوز 2012، بعد صراعٍ مع مرض عضال لمْ يُمهله طويلًا، اعتاد خلاله تعزية نفسه من الضعف الجسديّ بصحّة العقل، واستمرّ في الإنتاج وفي نشاطاته الأدبيّة حتّى آخر رمق. وممّا قاله في حفل تكريمه الذي سبق وفاته بثلاثة أشهر السؤال الذي أنهى به كلامه إذ قال: "هل وصلتُ بما قدّمته وأنا اليوم قد ذرّفتُ على الرابعة والستّين؟ الإجابة لا؛ لأنّ الوصول معناه النهاية وأنا لا أريدُ أن أنتهيَ هنا! بل أطمحُ للمزيد ليكون الآتي أفضل ممّا كان.. وطالما في الجسدِ بقيّة من روح وفي الرأس فكرٌ سأستمرُّ حتّى يقضي الله أمرًا كانَ مفعولًا".

[1] الاتّحاد، الاثنين، 19 أيّار، 2003، ص 7.

فكره ومجالات كتاباته

كرّس حياته في العمل لأجل توعية الإنسان ورعايته لينموَ سليمًا ومعافًى فكرًا ونهجًا وأخلاقًا؛ لأنّه ثروة العالم وكنزه. سعى لبناء إنسان عصاميّ محبّ لوطنه، أرضه شعبه وتاريخه، حريص على هويّته وفخورٍ بانتمائه. حمل بولس، على حدِّ تعبيره، قضيّة الإنسان الكبرى وقضيّة إنساننا الفلسطينيّ صليبًا، وسار به نحو الجلجلة في رحلة نضال شائكة شائقة لا يلين فيها ولا يستكين، لا يُداهن ولا يُرائي، ولا يتلوّن ولا يُنافق. آمن بمبادئه وبمنظوره الفكريّ، كما آمن بالإنسان ودعاه لأنْ يحافظ على الخير الذي فيه، وينشره ليعمّ على الآخرين. في إحدى مقالاته "مشافينا الأهليّة كم هي بحاجة إلى دعمنا" يُقارن بين مشفى رمبام الذي يحظى بالتبرّعات الكثيرة والدعم الماليّ ومشافي الناصرة الأهليّة التي تعاني، كما مدارسنا الأهليّة أيضًا، من عدم الدعم الماليّ؛ الأمر الذي يُعيق تطوّرها على الرّغم من كون الأطباء فيها مختصّين وذوي كفاءة وخبرة، ثمّ يدعو الناس إلى التبرّع ولو بمبلغ بسيط شهريّ لتطوير هذه المشافي، ويقول: "نحن شعب أصيل، له تاريخه وحضارته وتراثه، وكلّها مزروعة في رحم التّاريخ... ولكنْ لظروفٍ خاصّة، على رأسها طبعًا الاحتلال الأجنبيّ على ألوانه، تراجعنا، وليس المجال هنا لذكر الأسباب- إذ ما نفع النّدب على ما كان. المهمّ أن نلتفت إلى ما نحن فيه اليوم- ونحن شعب قادر أصيل- ما ينقصنا هو قرع الآذان كلّها لتتنبّه وتستيقظ من غفلتها".[1] ويُضيف: "نحن لسنا أنانيّين، أنا متأكّد من ذلك، ولكن ينقصنا من ينبّه ويعظ ويعلّم، بدءًا من مدارسنا ومرورًا بمؤسّساتنا الوطنيّة وجمعيّاتنا الدّينيّة والخيريّة وانتهاءً بأحزابنا السّياسيّة. شعب حيّ لا يقاس بالملبس والمأكل والمشرب، إنّما يقاس بمدى اهتمامه بمؤسّساته وبمدى دعمه لها لترقى

[1] بولس، 2012. يمكن قراءة المقال في موقع الجبهة تاريخ النشر 17.01.2012.
http://www.aljabha.org/index.asp?i=65099

ولتتطوّر، فالفائدة عندئذ ستكون مضاعفة وهي بالتّالي لنا".[1] هكذا نرى أنّ بولس، في هذه المقالة، وغيرها العديد، يتّخذ دور الموجّه الواعظ الذي يؤمن بإنسانيّة الإنسان، وكونه خيّرًا في أعماق أعماقه، فيخاطبه مُحاولًا تعزيز هذا الخير وبناء إنسان فاضل يسعى إلى مجتمع أفضل.

ولأجل هذا الفكر، خاض بولس المعارك الوطنيّة والفكريّة، ورأى في التعليم خدمةً وعطاءً، وفي المعلّم حجر شحن. أفرد للكتابة نفسه، فاكتشف ضالّته إذ التزم النقد الأدبيّ والدراسة الأدبيّة وركّز على أدبنا الفلسطينيّ في الداخل وفي الضفّة والقطاع، وفي الشتات، لتعريف أجيالنا بما نملكه من أدبٍ جميل وفكرٍ راقٍ، يُنافس آداب العالم لا بل يفوق الكثير منها.

إلى جانب هذا، كانَ بولس مُعِدًّا ومُقدِّمًا للبرنامج الثقافيّ "بين الكلمات" في التلفزيون الإسرائيليّ باللغة العربيّة، منذ عام 1991 حتّى الفترة الأخيرة من حياته. وقد كان هذا البرنامج بمثابة مسح ثقافيٍّ لأدبنا المحلّيّ، كما صرّح نبيل عودة.[2] اهتمّ بولس خلاله بتناول كلّ القضايا المتعلّقة بالأدب المحلّيّ، واستضافة الأسماء الأدبيّة الناشطة، ومبدعين في مواضيع الأدب والثقافة. هذا البرنامج كان بمثابة مسرح ثقافيّ يلتقي عبره المبدعون بالناس ويقرّبهم منهم ومن بعضهم بعضًا، كما يعرّف الناس عليهم، ويكشف مجالات إبداعاتهم وفكرهم وإنجازاتهم.

الانتماءات الّتي شكّلت هذا الفكر

يشير بولس إلى ثلاثة عوامل وانتماءات أساسيّة رفدت مسيرته وأَثْرتها، وصقلت شخصيّته وبلورتها، وهي:

---

[1] بولس، 2012، نفس المصدر.

[2] كما صرّح في مقالته "مساهمة في تكريم الأديب الناقد د. حبيب بولس"، الحوار المتمدّن العدد 3637، تاريخ النشر: 13.02.2012.

1. ***انتماؤه لقريته كفرياسيف***: ويصفها بأنّها القرية القانعة على شمم، المتواضعة على شموخ، الهادئة على ثورة، التي تقول للعالم رغم صغرها "لا ينزل المجد إلّا في منازلنا كالنوم ليس له مأوًى سوى المُقل". يفاخر بولس بهذا الانتماء إذ يقول: "أنا كفرساوي! أقولها بملء الفم وبهامة مرفوعة، من قرية يتجاور فيها التوأمان: العلم والأخلاق". ويتابع "كفرياسيف الّتي تربّي على العزّة والوفاء والكرامة الوطنيّة والتفاهم ومحبّة الآخرين، وتدفع أبناءها نحو التميّز. هذه القرية كانت وما تزال رائدة وعلَمًا تفتخر بنسيجها الاجتماعيّ المميّز، علّمتني الكرامة والتحدّي والصمود، وأرضعتني التواضع ومحبّة الناس، وكان لها الفضل الأكبر في صقل شخصيّتي، وفي دفعي للوصول إلى ما أنا عليه اليوم".[1]
2. ***انتماؤه إلى مدينة الناصرة***: انتقل بولس إلى الناصرة مرغمًا، حيث لم يعد باستطاعته السفر يوميًّا من عكّا إليها ذهابًا وإيابًا للعمل. وعلى الرغم من الفجوة والتهيّب اللذين شعر بهما لاختلاف عاداته ومبادئه عن عادات مدينة الناصرة وأهلها إلّا أنّه سرعان ما وجدَ الموازنة، وشعر باحتضان هذه المدينة له، فانخرط في نسيجها الاجتماعيّ والثقافيّ والأدبيّ وأصبح واحدًا من أهلها يُشارك في أحداثها وندواتها ومواقفها. وفي ذلك يقول: "كم تهيّبت هذه الخطوة فالناصرة مدينة كبيرة لها عاداتها ونثريّاتها وأنا قرويّ لي عاداتي ونثريّاتي، فكيفَ الموازنة؟". هكذا أخذ يبادلها العلم واكتساب الخبرة والقِيَم، وفي ذلك يقول: "تعلّمتُ الكثير من الناصرة وأهاليها، تعلّمت كيف تلاطم اليدُ المخرزَ، وكيف يقف الإنسان غير أيَّام شاهرًا قناعاته ضدّ الظلم والتمييز والقهر، وكيف يكون الكفاح من أجل العيش بكرامةٍ، وكيف يصبر الإنسان على الشدائد".

[1] بولس، 2012، من كلمته في حفل التكريم.

3. ***انتماؤه إلى الحزب الشيوعيّ***: يقول بولس: "أنا منذ جئت عام النكبة إلى الحياة، إبّانه وبعده، كانت فلسطين تغلي وتتفوّر فتجيش فيها حركة المقاومة النشطة وذلك بفضل الحزب الشيوعيّ ونشاطاته في حينه". في هذا الجو نشأ، فوجد نفسه، كما يقول، مسكونًا بالمنظور الاشتراكيّ، منه ينطلق ويتعلّم وعليه يقيس. "علّمني هذا المنظور الكثير، وغيّر الكثير من مفاهيمي. علّمني كيف أنقل الخطوَ على أرضٍ لاهبة مليئة بالحصى وبالبثور، وكيف أخوض جحيم المقلاة، وأخرج أشدّ عودًا وأصعب مكسرًا. علّمني أنّ الإنسان لا يأتي إلى هذه الدّنيا اعتباطًا، إنّما لهدف، لغاية، لرسالة". هكذا، وجد بولس ضالّته في الحزب الشيوعيّ ومن ثمّ في الجبهة، فأنار له الطريق وتحوّل إلى نهج يتحدّى به الصعاب، مفعمًا بالأمل، يؤمن بالإنسان، ويرى فيه طاقة خلّاقة مبدعة لا مشيّأة. هذا الحزب سكن فيه فأثّر عليه إنسانًا وكاتبًا وناقدًا.

إنتاجه:

أصدر بولس عشرات الكتب في شتّى المجالات، وهي تباعًا:

1. **أبحاث في الأدب العربيّ**، عكّا 1976: وهو كتاب مساعد للطلّاب الجامعيّين، أعدّه بولس لإفادتهم، متناولًا بحث الأدب العربيّ في العصور الجاهليّة والأمويّة والعباسيّة، مبتدئًا بالحديث عن مبنى القصيدة العربيّة، الصعاليك، مقدّمة القصيدة الجاهليّة، ثمّ عن شعراء المدرسة الأوسيّة، وعن اللهجات الجاهليّة وسيادة لهجة قريش، وكذلك أثر القرآن في الأدب. كما تناول فنّ الخطابة، ثمّ شعر الغزل، وتطوّر الأغراض الشعريّة، وتحدّث عن النقد، وفنّ المقامات، ورصدَ مصادر التراث العربيّ، مناقشًا كلًّا منها على حدة، وهي: المفضليّات، الأصمعيّات، جمهرة أشعار العرب، السبع الطوال، ديوان الهذليّين، الحماسة، الحيوان، البيان والتبيين، الكامل، عيون الأخبار، الأغاني، كليلة ودمنة، ألف ليلة وليلة، المثل

السائر، البخلاء، لسان العرب، كتاب العين، طبقات الشعراء، الشعر والشعراء، معجم الأدباء، الفهرست، وفيّات الأعيان، كشف الظنون، وأخيرًا كتاب الأعلام.

2. **دراسات في الأدب العربيّ**، عكّا 1978: وهو القسم الثاني من سلسلة الدراسات والأبحاث في الأدب العربيّ، الذي خصّصه للطّلاب الجامعيّين، وتناول فيه العصور الأندلسيّة والحديثة، مبتدئًا برسالة الغفران، ثمّ مقدّمة ابن خلدون، فشعر الطبيعة في الأدب الأندلسيّ، والموشّحات والأزجال، ورسالة ابن زيدون، ثمّ رسالة التوابع والزوابع. كما تحدّث عن تطوّر الشعر العربيّ في الثلث الأوّل من القرن العشرين، وتطوّر النثر، والمسرح، ليرتكز بعد ذلك في الحديث عن المذاهب الشعريّة تباعًا؛ الكلاسيكيّة، الرومانسيّة، الواقعيّة، مدرسة الديوان، جماعة أبولّو. وينتقل بعد ذلك إلى طه حسين وسيرته الأيّام، ثمّ يعود إلى الشعر المهجريّ وخصائصه، والرابطة القلميّة، والعصبة الأندلسيّة، والتحوّلات في الشعر الحديث وصولًا إلى الشعر الحرّ، وجذوره الاجتماعيّة.

3. **ألوان من القصّة القصيرة في الأدب العالميّ، الناصرة:** قام فيه بإعداد وجمع عدد من القصص القصيرة العالميّة لتكون في متناول أيدي القرّاء والدارسين مثل: إدجار ألن بو – الرقّاص والنبيذ، وباطنيّة النبيذ الشربشي، وإليونور، ثمّ قصّة السيّدة والكلب، وقصّة الشقاء لأنطوان تشيخوق، والقصص التالية لموباسان: في ضوء القمر، العاشق الجبان، الحلية، وقصّة وردة لإميلي لوليم فوكنر.

4. **مسرحيّات عالميّة، عكّا** 1980: سلسلة دراسات أعدّها وتناول فيها، بالنقد والتحليل، عددًا من المسرحيّات العالميّة المشهورة؛ هملت، أنتيجوني، وغيرهما.

5. **في الرّواية العربيّة المُعاصرة**، الناصرة 1984. مجموعة مقالات وأبحاث في الرواية العربيّة.

6. **الرحلة الأولى**، الناصرة 1986: مجموعة مقالات نقديّة متعدّدة، تحدّث فيها عن "أثر الدكتور إميل توما على الحركة الثقافيّة المحلّيّة"، ثمّ عن "الأرض في قصص محمّد نفّاع"، و"حنّا إبراهيم والهاجس الفلسطينيّ"، و"سالم جبران شاعر الأرض والمقاومة"، كما ضمّن هذه الرحلة مقالة عن "الحياة الفلسطينيّة من الداخل"، وأخرى بعنوان "حين يكون المنطق يهترئ السلاح"، ويخصّص المقالة قبل الأخيرة للحديث عن "رياض بيدس واقعيًّا شكلًا ومضمونًا"، والأخيرة للكاتبة "ميّ زيادة كاتبة صقلتها المعاناة".

7. **نجيب محفوظ، رحلة الإبداع**، القدس 1988: وقد أفرده للحديث عن نجيب محفوظ، شاعر المقاومة، وإبداعه وتأثير شعره.

8. **الرحلة الثانية**، حيفا 1989: وهو الكتاب الثاني الذي يرصد فيه إنتاج أدبائنا المحلّيّين، فيُضَمِّنه مقالتين في مجال الرواية: "الصورة الأخيرة في الألبوم، رواية فكرة وموقف"، "الطريق إلى بير زيت والمراوحة بين التأثريّة والفنّيّة"، ثمّ أربع مقالات في مجال القصّة القصيرة: "ضحك من شدّة المرارة"، "رياض بيدس من الخصوصيّة إلى الشموليّة"، "نهاية الزمن العاقر وحماسيّة استقباله"، و"الأفق البعيد وطرافة التجربة". كما نجد في الكتاب مقالة حول الشعر بعنوان "ضحك على ذقون القتلة"، ومقالة في البحث الأدبيّ "روزا سمعان- عليّة بنت المهديّ"، ومقالة في الأدب التوثيقيّ "ذاكرة حنّا إبراهيم ذاكرة شعب بأكمله".

9. **أنتم ملح الأرض**، الناصرة 1990: ويخصّصه لتخليد ذكر بعض المناسبات، والفعّاليّات الثقافيّة الوطنيّة التراثيّة "يوم التراث الشعبيّ"، "مختبر اللغات"، "إلى الأمّهات في عيدهنّ"، "سنة اللغة العربيّة"، "ندوة الانتفاضة"، "ندوة الشعر المحلّيّ"، وغير ذلك.

10. **الرحلة الثالثة**، الناصرة 1994: تأتي الرحلة الثالثة لعرض المزيد من المقالات في مجال الشعر: "حبيب شويري- شاهد أمين على المرحلة"، "فوزي عبد الله- الشعر والدوافع"، "أذكر- لشكيب جهشان". وفي مجال القصّة القصيرة: "ويكون في الزمن الآتي- محمّد عليّ طه"، "الجياد- زكي درويش"، "هواجس يوميّة- حنّا إبراهيم"، "رُلى- د. محمود عبّاسيّ"، "مجدّرة وحجارة- محمّد نفّاع". وفي مجال الرواية: "عبير الياسمين- د. جمال قعوار"، "الاغتراب والتهميش في هامشي- رياض بيدس"، "رسائل العشق والعشّاق- عيسى لوبانيّ".

11. **موشّحات الأعمى التطيليّ**، حيفا 1996: وهو كتابٌ شُغِل فيه بفنّ الموشّح الذي اختلف الباحثون في تحديد تجديداته ومجالات تطويره للقصيدة العربيّة، واضعًا نُصبَ أعينه نظرةً جديدة: أنّ الموشّح رغم ثورتهِ على القصيدة العربيّة، قافية ووزنًا، نُظمَ حسب التفاعيل العروضيّة منذ عهد الخليل بن أحمد الفراهيديّ.[1] ويبدأ الكتاب بمقدّمة عامّة عن الموشّحات، نقد مصادرها، وترقيمها، ونظام تقفيتها ومبناها، وتفاعيلها وأوزانها وبحورها، وخرجاتها.

12. **الصّوت والصدى**، الناصرة 1996: وهو كتاب آخر في النقد يضمّ دراسات أدبيّة كان بولس قد نشرها في فترات مختلفة. وتتّسع المساحة، هنا، إذ نجد بولس يخرج عن الحيّز الفلسطينيّ المحلّيّ، ويتطرّق إلى دراسات أدبيّة تشمل عدّة بلدان عربيّة؛ فمن حديثه عن "نجيب نصّار في روايتيه مفلح الغسّاني وفي ذمّة العرب"، إلى "خليل السكاكينيّ والتجديد"، ثمّ "العناصر الأسلوبيّة في سرد مارون عبّود القصصيّ"، و "مسرح توفيق الحكيم الذهنيّ"، و"إلياذة هوميروس وشاهنامه الفردوسيّ وما بينهما"، ثمّ "النقد الأدبيّ وإبداع الشباب"، و"أصحاب المِهن في كتب

[1] بولس، 1996، ص 7.

الأدب". ويختم الكتاب بدراسة عن "الليل في شعر العشّاق العرب". هكذا، ينتقل من لبنان عائدًا إلى فلسطين، ثمّ لبنان فمصر، كما يتنقّل من الرواية إلى المسرح والإلياذة والنقد والشعر، محاولًا أن يُحيط بكلّ المجالات الأدبيّة ويفيَها حقّ البحث والتحليل والنقد والاستنتاج.

13. **قضايا ومواقف أدبيّة**، الناصرة 1997: مجموعة مقالات تتناول قضايا ومواقف عديدة ومتفرّقة، يبدؤها أوّلًا بطرح "ملاحظات على هامش مهرجان المبدعات الرابع"، ثمّ يتطرّق إلى دور النشر، وأزمة القراءة، والمناهج التعليميّة ودورها في التشجيع على القراءة. كما يتحدّث عن الطّرفة الأدبيّة، فالقصّة القصيرة، فالشعر والثقافة والأدب والفنّ والسلطة، ويأتي بعدد من المقالات الّتي تطرح تساؤلًا إنّما يعكسُ توجُّهًا ورغبةً داخليّة في التغيير مثل: "متى سنصبح موضوعيّين في كتاباتنا؟"، و"هل نحن بحاجة اليوم إلى تنظيم أدبيّ جديد؟"، و"لماذا لا نملك جانرًا روائيًّا محلِّيًّا ناضجًا؟"، و"هل نعمل بما فيه الكفاية على نشر أدبنا عالميًّا؟"، و"هل هناك ركود في الحركة المسرحيّة المحلّيّة؟"، وغيرها.

14. **أنطولوجيا القصّة العربيّة الفلسطينيّة القصيرة في إسرائيل**، سخنين 1998-1999: وكانت الطبعة الأولى لهذا الكتاب قد صدرت عام 1987، وهو عبارة عن رصد لفنّ القصّة القصيرة المحلّيّة من خلال جمعِهِ أسماء ستّة وأربعين كاتب قصّة محلّيّة، دالًّا بذلك على الإقبال على هذا الفنّ من جهة، وعلى التطوّر الذي أصابه من جهة أخرى. وقد اختار حينها القصص التي أثارت نقاشًا واسعًا في أوساطنا الأدبيّة؛ لأنّها تحمل رأيًا وجد فيه محطّة لتطوّر هذا الفنّ. تأتي الطبعة الجديدة للكتاب في مجلديْن، كلّ مجلّد عبارة عن 600 صفحة، لا يُغيّر بولس فيهما ما ورد من قصص في الطبعة الأولى، ولكنّه يضيف مؤلّفات عديدة وأسماء كثيرة كان لها نصيب في دفع مسيرة هذا الفنّ، ومنها أسماء كثيرة لشباب وشابّات،

برزت كتاباتهم في السنوات العشر التي سبقت ظهور الطبعة الثانية. وبهذا، يُعطي بولس بانوراما شاملة لمجمل ما كُتب عندنا من القصّة القصيرة منذ عام 1948 حتّى 1998؛ أي خلال خمسة عقود، ويقدّم فكرة واضحة عن الفنّ القصصيّ وتطوّره. اعتُبرَ هذا الكتاب أهمّ إنجاز قام به بولس، ويراه بشير شلش عملاً موسوعيًّا تتجاوز أهمّيّته توثيق النماذج القصصيّة الفلسطينيّة بطريقة بيبلوغرافيّة، إلى الإضاءة على وتحليل العجائن الأوّليّة التي شكّلت "فنّ القصّة الفلسطينيّة" إذا جازت التسمية، والموتيفات الأساسيّة، الفنّيّة والجماليّة، التي كانت حاضرة في المدوّنة الثقافيّة الفلسطينيّة بالشكل الذي ظهرت عليه، وقبل ذلك وبعده، تقديم بانوراما هي الأشمل لنصف قرن من كتابة القصّة، هنا بين الكتّاب العرب الفلسطينيّين الباقين في وطنهم، بكلّ ما تخلّلها من ظروف سياسيّة وثقافيّة مفصليّة طبعت شكل حياة هذا الجزء الحيّ من الشعب الفلسطينيّ، وأثّرت بصورة عميقة على نخبته المثقّفة، والمبدعة أيضًا.[1]

15. **ألوان وأجناس أدبيّة**، حيفا 1999: يُقدّم فيه بولس للدارسين فكرة عن مختلف الأجناس الأدبيّة؛ نشأتها وتطوّرها وعناصرها، فيتحدّث عن الأدب اليونانيّ والرومانيّ في الشرق القديم، والأساطير، وشعر الملاحم، والملاحم اليونانيّة (هوميروس، الإلياذة، الأوديسّة). أمّا الهدف من الكتاب فهو التسهيل على طلّاب الجامعات والمعاهد العليا وتزويدهم بالمعلومات الضروريّة في مسيرتهم العلميّة.

16. **الوثاق الحرير**، الناصرة 2000: مجموعة داراسات أعدّها وقدّم لها وساهم فيها حول شخصيّة توفيق زيّاد الشاعر؛ ضمير القضيّة وفارسها، شعر الإنسان والقضيّة، ذاكرة الزيتون، ورمز الصمود والتّحدّي والنضج.

---

[1] انظر مقالته حول صدور الطبعة الثانية من الكتاب في موقع الجبهة:
http://www.aljabha.org/?i=66236. تاريخ النشر 02.03.2012.

17. **لعبة الإيهام والواقع في المسرح العربيّ**، حيفا 2000. مجموعة مقالات في المسرح العربيّ المحلّيّ، تتحرّك ما بين المقالة التحليليّة لظاهرة المسرح المحلّيّ، والمقالة النقديّة؛ إذ يبدأ بالحديث عن بواكير المسرح، عن الأدب التمثيليّ في فلسطين قبل عام 1948، عوامل نهوض الحركة المسرحيّة، ثمّ يتناول مسرحيّات عديدة: برتولد بريخت، حرب طروادة لم تحدث، الأعمى والأطرش، المحلّل، سرّك في بير، رابطة دم، أكسدنت موت الفوضويّ، مسرحيّة سُحماتا وحرارة استقبالها، إضراب مفتوح، هبوط اضطراريّ، الإيهام والواقع في مسرحيّة عبير، الطرفة الأدبيّة، الفيل والسراويل، جزيرة المعز، مغناة "أذكر"، ومسرحيّة بيت السيّدة.

18. **عيون المرايا**، الناصرة 2004: وهو كتاب إضافيّ يشمل عددًا من الدراسات الأدبيّة النقديّة التي تتناول جوانب مختلفة من الأدب العربيّ الحديث بشكل عامّ، والأدب العربيّ الفلسطينيّ بشكل خاصّ؛ شعرًا وروايةً وقصّة قصيرة. ويشير بولس في مقدّمة الكتاب إلى اعتماده منهجيّة نقديّة واضحة ومعروفة هي ما يُدعى بالتكامليّة أو بتضافر المعارف؛ أي التعامل مع النصّ الأدبي كنصٍّ متكامل وتناوله من جميع جوانبه، من خلال الاستضاءة بالمناهج كلّها وبالمعارف المختلفة. المقالات التي يتضمّنها الكتاب في مجال الشعر هي: "شعر نزار قبّاني السياسيّ"، "بين الفنّيّة والجماهيريّة". "الشعر العامّيّ/ الشعبيّ؛ ميزاته، فنونه ونوادر شعرائه". "فنّ التوقيع في الشعر العربيّ الفلسطينيّ المحلّيّ". وفي مجال الرواية والسيرة الذاتيّة يقدّم بولس دراسات عن "نقاط الالتقاء والابتعاد/ التشابه والتخالف بين رواية الصخب والعنف لفوكن ورواية ما تبقّى لكم لكنفانيّ"، "إضافات إميل حبيبي للجانر القصصيّ"، "إبراهيم نصر الله: الكتابة السلاطينيّة وعمليّة التدجين والرفض"، "ليانة بدر والهمّ الفلسطينيّ، مدخل لدراسة أعمالها القصيرة"، "ظلّ آخر للمدينة، تنوّعت الأساليب أمّا التجربة فواحدة". وفي القصّة القصيرة نجد: "الفعل

وانعكاسه في إبداع رياض مصاروة"، "أصحاب الأخدود لمصطفى مرّار بين التاريخيّ والإبداعيّ، "القصّة، الأنا المثقّف المؤنّث/ رجاء بكريّة نموذجًا".

19. **قرويّات**، الناصرة 2004. اعتبر بولس في هذا الكتاب أديبًا يؤمن بالتراث وأصالة الجذور ويدعو للتمسك بها من خلال الحديث إلى شخصيّة الابن وسرد أحداثٍ عديدة من الماضي الجميل في مسقط الرأس كفرياسيف، تؤكّد على تميّز ذاك الماضي عن الحاضر المؤلم، الحزين، المفكّك، والمتشرذم.

20. **الرحلة الرابعة**، الناصرة 2010: يتابع بولس في هذا الكتاب مسيرة الرحلات الثلاث السابقة في تناول حركة الأدب العربيّ الفلسطيني في إسرائيل، فيُضَمّنه مقالاتٍ في مجال الدراسات الأدبيّة، والنقد، والمتابعات المسرحيّة والكتب والكتّاب. ويتطرّق في مجال الدراسات الأدبيّة إلى "الأدب العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل"، ثمّ إلى "الناقد والمفكّر العربيّ الكبير؛ حسين مروّة- مؤسّس مدرسة النقد الواقعيّ الاشتراكيّ في العالم العربيّ"، و"رئيف خوري، المنوّر الموسوعيّ" اللبنانيّ وتأثيره على الثورة الفرنسيّة والفكر الماركسيّ. وفي مجال الرواية يورد ثلاث مقالات: "شاهد عبد الحقّ في ديوان الكوكانيّ"، "رواية العَطيليّ وعاء لواقع ومشاهد سرديّة"، امرأة الرسالة لرجاء بكريّة والنبش في سرّيّة الذات". وفي الشعر يكتب "ثلاث محاضرات في شعر محمود درويش"؛ أمّا في المسرح فيكتب: "مسرحنا بين التأسيس والتجنيس"، "حلّاق بغداد واستمزاج العناصر المسرحيّة"، "مسرحيّة يا مظفّر وجلد الذات"، "محمّد بكريّ يتألّق في زغرودة الذات ولكن...!!"، "رقصتي مع أبي، كلّنا مُعاقون"، "مملكة المرايا، مسرحيّة غنيّة فكرًا وفنًّا"، "مرحلة التصعيد المقموعة في التماثيل الزجاجيّة"، "مسرحيّة جنون وضرورة أن أعيش"، "مسرحيّة امرأة سعيدة"، "الكندرجيّ والطاقات الفوّارة"، "أحلام شقيّة، بين الفكرة وضرورة الفعل"، "بياض العينين، بين الكتابة للمسرح والكتابة المسرحيّة"، "مونودراما طائر

السماء، تحكي ولا تحاكي"، "أم الروبابيكا، التمزّق بين الماضي والآنيّ"، "مسرحيّة سيّدة محترمة جدًّا"، "بؤس ورعب الرايخ الثالث، المغامرة والتحدّي"، "أنشودة الميلاد، فرقة موّال، وزهرة حبّ معطّرة"، "مسرحيّة على خطى هاملت". وفي نهاية الرحلة يتناول بولس كتابين هما "أيّام متخيَّلة لساسسون سوميخ والخطاب المغاير"، "كتاب المهد العربيّ وملامسة البرميل الساخن".

21. **كلمات**، الناصرة 2010-2011: وهو كتاب في السياسة، الاجتماع، التربية، الشخصيّات، والظواهر الأدبيّة. يشتمل على مقالات عديدة من كلّ مجال، فيتطرّق إلى مواقف اجتماعيّة، وأخرى تربويّة، كما يُفرد فصلًا للطائفة الأورثوذكسيّة في أورشليم، واقع مجلسها في الناصرة، وتخبّط هذا المجلس بين حكومة إسرائيل والمصلحة الوطنيّة، وعن وحدة أبناء الطائفة الأورتوذكسيّة وكونها السلاح الأقوى. وتحت عنوان "أحداث ومناسبات "، يتحدّث عن أحداث متنوّعة، ثمّ عن شخصيّات مختلفة تحت عناوين مثل محمود أمين، إميل توما، حنّا نقّارة، البروفيسور نبيل حنّا وسعود الأسدي، والدكتور سليم مخولّي وغيرهم. ويأتي الفصل الأخير من الكتاب بعنوان ظواهر إجنأدبيّة مقلقلة ليشمل عددًا آخر من المقالات التي تطرح تخوّفًا ما من ظواهر عديدة في مجال الأدب والنقد وغير ذلك.

هكذا نلاحظ من مجرّد قراءة العناوين ما يلي:

– **على المستوى الفئويّ**: اهتمّ الناقد حبيب بولس بالكتابة إلى فئات مختلفة، فهو كمحاضر جامعيّ ومعلّم خصَّ تلاميذه وزملاءه من المعلّمين، وكذلك الدارسين، بما يُعينهم، ويحدّد لهم المفاهيم، ويزوّدهم بالمعلومات والنظريّات والآليّات التي يحتاجونها في التعامل مع الأدب العربيّ، وهو يصرّح باهتمامه بهم في إحدى مقدّمات كتبه التي أعدَّها لهم، إذ يقول: "رأينا أن نقوم بجمع هذه المراجع من الكتب التي رأيناها مناسبةً وتقديمها للدارس العربيّ في كتاب واحد شامل يكون

مرجعًا لدراسة الأدب العربيّ".[1] وإلى جانب هذا، نراه يكتب للأدباء ناقدًا موضوعيًّا، وللمفكّرين ولمتذوّقي الأدب وللإنسان عامّة لا سيّما في مقالاته المتفرّقة، فلا يجعل عطاءه محصورًا في فئةٍ واحدة فقط.

- **على المستوى النوعيّ**: تناول بولس دراسة الأنواع الأدبيّة على اختلافها واتّساع روافدها: الأدب القديم والحديث بجلّ اتّجاهاتهما: الملحمة الشعريّة، الشعر الكلاسيكيّ، الموشّح، الشعر العامّيّ، الطّرفة، الخطابة، النّقد، الأدب التوثيقيّ، الشعر الحديث، القصّة، المسرحيّة، الرواية، وغير ذلك من إنتاجات متنوّعة محلّيّة وعالميّة. وهذا إن دلّ على شيء فيدلّ على ثقافة حبيب بولس، وسِعة اطّلاعه محلّيًّا وعالميًّا، وإلمامه في المجالات المختلفة الأدبيّة وغير الأدبيّة من علوم الاجتماع والسياسة وغيرها؛ ممّا يمنحه حقّ النقد فيها وجرأة خوضها ومناقشتها وتحليلها.
- **على المستوى المضمونيّ**: كان بولس كأبناء جيله الذين وُلدوا، ثمّ سرعان ما وجدوا أنفسهم مُبعدينَ منفيّين عن البيت والوطن، متخبّطين يصارعون أيّامًا ظنّوها للوهلة الأولى كابوسًا عابرًا فانتظروا الاستيقاظ، ولكنّهم لم يجدوا بعده سوى انقلاب الحلم إلى حقيقة مرّة عليهم مواجهتها والتعايش معها. هذه الحقيقة زرعت فيهم الحنين إلى الأرض والوطن وزادتهم تمسّكًا باللغة كوسيلة دفاع. وفي كتاباتهم برزت مضامين عديدة مشتركةً تعبّر عن الهمّ الواحد والمصير الواحد، والأمل الواحد الممتدّ. هذه المضامين، وغيرها، نراها بارزة في كتابات بولس فكرًا ودراسةً ونقدًا، فنلاحظ انشغاله بالهمّ الفلسطينيّ بروافده المختلفة، الحركة الأدبيّة والواقع السياسيّ والاجتماعيّ، ووضع الأقلّيّات في المجتمع الإسرائيليّ؛ حيث أخذ من خلال مقالاته ودراساته يرصد ما يستجدّ على الساحات المختلفة، يطرح

[1] بولس، 1978، ص 5.

ويحلّل ويناقش وينوّه معتمدًا الصدق والجرأة، وإبراز المشاهد المختلفة لتغدو مشاهد بانوراميّة تجذب الانتباه وتفتح الآذان والعيون. وإلى جانب هذا الاهتمام، برز لدى بولس، أيضًا، الاهتمام بالأرض، والوطن، لا سيّما في تحليله للمؤلفّات المحلّيّه. كما برز لديه، أيضًا، الاهتمام بالإنسان والشعب، فقد كتب عن الأدباء الفلسطينيّين، وحلّل كتاباتهم، وقضاياهم واهتماماتهم، كما تحدّث في كتاباته إلى الابن الفلسطينيّ، والشابّ الفلسطينيّ والإنسان الفلسطينيّ عامّةً. ولم ينسَ المرأة؛ فدرس إنتاجاتها، والتفت إلى معاناتها أمًّا فلسطينيّة وزوجةً فلسطينيّة فيما تطرّق إليه من تحليلات.

- **على المستوى الريادي**: سبق وذكرت، في حديثي عن كتاب أنطولوجيا القصّة القصيرة المحلّيّة في إسرائيل، ذاك الدور الريادي الذي تبوّءه بولس، إذ أحيا تراث هذا الفنّ من خلال القصص نفسها. لم يشغل نفسه في هذا الإصدار بدراسة تاريخ هذا الفنّ وميزاته وتطوّره بشكل نظريّ تحليليّ، إنّما خلّد النصوص القصصيّة وكتّابها الذين ذكرهم وعرّفَنا بهم من خلال تقديم سيرة لكلٍّ منهم، فكان بذلك سبّاقًا، وغدا مرجعًا وسندًا لكلّ من يسعى لدراسة أو لتذوّق القصّة القصيرة العربيّة في إسرائيل. هذا الاهتمام بالقصّة المحلّيّة كان عنده مدفوعًا بعاملين، كما يُصرّح في المقدّمة: الأوّل إتاحة الفرصة للقارئ كي يُواكب تطوّر القصّة المحلّيّة القصيرة، ويتعرّف على الكتّاب وفنّهم القصصيّ. والثاني إتاحة الفرصة أمام الباحثين لدراسة هذا اللون دراسة أكاديميّة تفصيليّة.[1] ولا يقتصر اهتمام بولس بالأدب المحلّيّ في هذا الجانب فحسب؛ فقد تبوّأ، أيضًا، دورًا مركزيًّا في متابعة المسرح المحلّيّ، وقدّم ما يزيد عن 18 دراسة لمسرحيّات محلّيّة، وتابع الحياة

[1] بولس، 1998-1999، ص 5.

المسرحيّة داخل إسرائيل، ووثّق نصوصها أيضًا بتحليلاته والتفاتاته؛ ممّا جعلها راسخة عند القارئ العربيّ المحلّيّ وغير المحلّيّ.

حبيب بولس في عيون الدارسين:

خوطِب بولس بعبارات تنمّ عن تقدير واعتزاز بشخصه وإنجازه، قيل فيه: "أيّها الناطق بالضادّ، ...، يا رخيم الصوت، أيّها المتنهّد الكلام فتدبّ به الحياة في كلّ أزقّة الحياة"،[1] "لسانك أيّها المغبوط لسانُ قلم كاتب سريع الكتابة أبهى من بني البشر يا ذا النعم أيّها الصرح الثقافيّ التربويّ".[2] وُصف بأنّه "رجل الرسالة الفكريّة والأدبيّة والوطنيّة التي تجعل منه ذخرًا ثقافيًّا وإنسانيًّا واجتماعيًّا لشعبه وبلده ووطنه".[3] كما وُصف بأنّه "الأديب اللامع والإنسان المتألّق في عالم الثقافة في مجتمعنا العربيّ في هذه البلاد"،[4] و"الإنسان المثقّف من الطراز الأوّل الذي لا تنحصر معلوماته في مجال واحد".[5] ومن جهتها، وصفته د. راوية بربارة بأنّه زيتونة فلسطين،[6] كما وُصفَ بأنّه "الفارس الماجد.. السنديانة"،[7] ووصفه الأب عطا الله مخولّي بأنّه "فارس كفرياسيف الذي ترجّل ماضيها، حاضرها، مستقبلها، زيتونها، لوزها، أزهار ربيعها وأزقّتها

[1] من كلمة الأب عطا الله مخّولي في حفل التكريم.

[2] من كلمة الأب عطا الله مخّولي في حفل التكريم.

[3] من كلمة د. منير توما في حفل التكريم.

[4] من كلمة خالد خوري في حفل التكريم.

[5] من كلمة خالد خوري في حفل التكريم.

[6] وذلك في الفيلم الوثائقيّ الذي أخرجه خالد الأسديّ، حول الدكتور حبيب بولس ورحلة إبداعه.

[7] من كلمة عزّت فرح في رثاء بولس "إلى روح المرحوم حبيب بولس".

وناسها".[1] هو سيّد الكلام،[2] "سنديانة شامخة وارفة الظلال، يشحذ الكتّاب الصغار مناقيرهم على جذعها، فيتعلّمون روعة النشيد وصلابة العود، عندما يختار كلّ منهم حدوده الشخصيّة إلى العالميّة الرحبة".[3] وهو "قدّيس ناسكٌ صوفيّ" في عشقه للغة، مجنونها وفارسها الملوّع بحبّها والمتيّم بعشقها.[4]

حبيب بولس ناقدًا.

يعزو بولس السبب في تحوّله إلى النقد وتخصّصه به إلى الشاعر والكاتب سالم جبران (1941-2011)، الذي رصدَ قدراته النقديّة وحثّه على الانخراط في النقد. وقد صرّح بولس بذلك أكثر من مرّة إذ قال عن نفسه إنّه ناقد بفضل "المعلّم سالم جبران" كما كان يصفه.[5] هكذا اختار بولس "الطريقَ الصعبَ، وكان النقدُ الأدبيُّ نهجَه الأوّل، وأصابَه ما أصابَنا من نقد النقد البعيد عن النقد، وحتى الأدب. لكنّه صمدَ، وتابعَ الكتابةَ النقديةَ في تَقْييم حركتنا الأدبية المحلّيّة والعربيّة عامّة، وفرضَ وجودَه وكتاباتِه، وأصبح مَرجعا أساسيًّا في دراسة حركتنا الأدبيّة في البلاد".[6]

ويلاحظ كلّ من يقرأ حبيب ناقدًا على أنّه قد انتقل بالحركة النقديّة المحلّيّة لتغدو أكثر نشاطًا، ترصدُ جلّ الإبداعات بما في ذلك إبداعات الشباب، مشكّلًا تيّارًا نقديًّا

---

[1] في الكلمة التي ألقاها في حفل تأبين حبيب بولس بعنوان "من عمل وعلّم يُدعى عظيمًا في ملكوت السموات".

[2] من كلمة د. بطرس دلّة في تأبينه، "لماذا رحلتَ يا سيّدَ الكلام؟"

[3] من كلمة د. بطرس دلّة في تأبينه، "لماذا رحلتَ يا سيّدَ الكلام؟"

[4] من كلمة سكرتير الحزب الشيوعيّ في الناصرة، "في رثاء حبيب بولس".

[5] ورد ذلك في مراجعة نبيل عودة لكتاب **قرويّات**، في مقالة بعنوان "قرويّات حبيب بولس بين الحنين والجذور". يمكن قراءة المقالة في الحوار المتمدّن، العدد 2021، تاريخ النشر: 28.08.2007. http://www.ahewar.org/debat/show.art.asp?aid=107366.

[6] من كلمة الدكتور نبيه القاسم في حفل التكريم بعنوان "حبيب بولس يا هلا".

خاصًّا. هو "ناقد بامتياز وأحد حرّاس الذوق العامّ المرهفين والمهنيّين في حياتنا الثقافيّة، وذلك إلى جانب مساهماته القيّمة في قضايا المجتمع والسياسة وفي حمل أعباء الهمّ الوطنيّ والديموقراطيّ".[1]

اجتهد بولس أن يُقدّم الأدب الفلسطينيّ للقرّاء، تابع مسيرة الدكتور إميل توما وطوّرها. وفي العام 2001 دُعيَ ليشغل منصب رئيس معهد إميل توما للأبحاث السياسيّة والاجتماعيّة، وكانَ شديد التأثّر بشخصيّته القياديّة، يكنّ له التقدير والمحبّة ويعتبره والده الروحيّ القائد والمعلّم والمثل الأعلى، كما يعتبر مجرّد العيش في زمن توما فخرًا له، وهذا ما صرّح به في إحدى مقالاته "الدكتور إميل توما والثقافة العربيّة الفلسطينيّة في البلاد" التي كتبها عام 2011، إذ يقول: "ونحن، أعني تلاميذه الذين علّموا معه أو التقوا به في ساحات الفكر والنضال وميادين العلم والثقافة، كفانا فخرًا أنّنا عشنا في زمن إميل توما، وكفانا شرفًا أنّنا عنه أخذنا وعلى يديه تتلمذنا وإلى ما وصل إليه نصبو ونتطلّع". لا يفصل بولس بين أثر إميل توما الفرد وأثر الحزب الشّيوعيّ وصحافته في بناء حركتنا الثّقافيّة. ونراه يقدّر في هذا الإنسان ما قدّره الآخرون في شخصيّته هو من الجرأة، وتعدد الثقافة وسعة الاهتمامات، وعمق التحليل والاختيار الفكريّ، وقول كلمة الحقّ وما إلى ذلك. وفي رثائه قال: كان توما "فعلًا رائدًا وللرّيادة ضريبتها، وكانت الضّريبة الّتي دفعها إميل توما مرضه العضال الّذي لم يمهله طويلًا. وأخيرًا.. مات إميل توما وكانت خسارتنا بموته فادحة. مات الإنسان الجامعة، لكن لم يمت فينا ما تركه، بل هو حيّ في كلّ ما كتبه باقٍ إلى الأبد. وإلى شعبنا نقول: إنّ شعبًا أنبت إميل توما هو شعب غنيّ حقًّا، قادر على تقديم العظماء والمبدعين، باستمرار".[2] وكأنّ بولس بهذه الكلمات يتحدّث عن نفسه،

[1] من كلمة النائب محمّد بركة في حفل التكريم.

[2] من كلمة البروفيسور محمود غنايم في حفل التكريم.

وعن النهاية التي آل إليها هو أيضًا، وعن موته جسدًا وبقاء ما خطّه للأجيال القادمة بوصلةً ترشدهم في حياتهم اليوميّة، وفي اجتماعيّاتهم وثقافتهم وحضارتهم وأدبهم وفنّهم، وغير ذلك من مجالات تحدّث عنها في العشرات من مقالاته التي ضمَّنها التبئير وتسليط الضوء على المشكلة، والوعظ والإرشاد، وطرح الحلول وسكب الخبرات، وما إلى ذلك.

من أهمّ ما ميّز بولس في مجال النقد:

- ***الطرح التفكيكيّ***: اعتمد بولس طرح القضايا طرحًا تحليليًّا تفكيكيًّا نقديًّا سعيًا للوصول إلى حلول. لم يكن يطرح القضيّة فقط، بل يفكّكها وينقدها ويحلّلها، ثمّ يعرض الحلول النابعة عن خبرته ورؤيته الشاملة. يُحاول من خلال مقالاته الإضاءة على قضايا متعدّدة لكشف المستور، وتسليط الضوء على المعضلات للتمكّن من مواجهتها وحلِّها. وهكذا، كان بولس ناقدًا "ثاقب العينين، حادّ التشخيص، يرى الظواهر في حركتها ويتابع سيرورتها حتّى يأتينا بالإجابات، غير المتوقّعة أحيانًا، عن أسئلة وفرضيّات اعتبرناها في حكم المنتهية".[1] كما كان "صاحب بصيرة نفّاذة، وكلمةٍ جريئة، شديد التجرّد من الميل والهوى، ويغلب على نقده الطابع التطبيقيّ، فهو يجنح إلى الواقعيّة وتسمية كلّ شيء باسمه".[2] واظب بولس على تناول القضايا والإنتاجات الأدبيّة المحلّيّة والعربيّة عامّةً، فأصبح مرجعًا أساسيًّا للطلّاب والباحثين ودارسي الأدب المحلّيّ بشكل خاصّ؛ مسرحًا وقصّة ورواية ونقدًا. وبهذا لم يكن المقبلون على قراءته محدودين بفئة واحدة فقط، فقد وجد فيه جيل الشباب أبًا مرشدًا وواعظًا لا سيّما في كتابه قرويّات، كما وجد فيه

[1] من كلمة الدكتور يوسف جبارين في حفل التكريم.

[2] من كلمة الدكتور منير توما في حفل التكريم.

المثقّفون أديبًا وناقدًا موضوعيًّا، والدارسون بحثوا عن مراجعاته مرجعًا لهم فكان شاملًا بعطائه، مُكثرًا ومصيبًا. وغدا من غير الممكن كتابة تقييم أدبيّ عن الأدب العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل، دون الاعتماد على مراجعاته وإنجازاته.

- ***الموضوعيّة***: كان حبيب بولس موضوعيًّا في تحليله، يعتمد على خلفيّة ثقافيّة واسعة على الصعيدين العالميّ والمحلّيّ، وعلى اطّلاعٍ على المبادئ الفكريّة. كان "مسلّحًا بالعلم والثقافة والمعرفة، وبالفكر التقدّميّ الثوريّ، وبالرؤية الثاقبة الواضحة، والرؤيا النبوئيّة البعيدة الاستشراف، كان يُدرك أن مشواره طويل لا حدود له، وأنّ طريقه شاقّ تعترضه أهوال دون أهوال".[1]

- ***الواقعيّة***: الكتابة دون انفصال عن الواقع: ممّا ميّز بولس في نقده، أيضًا، أنّه لم يكتب من برجه العاجيّ، بل كان يكتب من صميم الواقع والحياة الاجتماعيّة والسياسيّة، كما كان مشاركًا في الندوات والأمسيات، متحدّثًا بلسان الإنسان وواصفًا حاله، متّخذًا من نشاطه الأدبيّ والثقافيّ مهمّة وطنيّة اجتماعيّة، معبّرًا عن وعيه بحال الأدباء والشعراء والنّقّاد وعامّة الناس، لا سيّما مَنِ انخرط منهم في المقاومة شعرًا وفنًّا وأدبًا وواقعًا. ويذكر نبيل عودة أنّ بعض مقالات بولس أثارت ضجيجًا كبيرًا، إذ طرح فيها ظواهر سلبيّة انتقدها بحدّة وسخريّة، ولم يشملها في كتبه. هذه المقالات التي نُشر جزء منها في جريدة "الأهالي" (2000 – 2005) التي كان عودة نائبًا لرئيس تحريرها الكاتب والمفكّر والشاعر سالم جبران، تدلّ فيما تدلّ عليه أنّ بولس كان يُصوّب سهامه نحو سلبيّات هذا الواقع لينفخ فيها من خبرته محاولًا تفجيرها، وما كان سينجح بذلك لو كان يكتب بانفصال عن الواقع وبعدٍ عن قضاياه. بكلمات أخرى، فإنّ بولس لم يكن راصدًا للواقع وظواهره فحسب بل

[1] من كلمة الدكتور نبيه القاسم في حفل التكريم بعنوان "حبيب بولس يا هلا".

كان حيًّا في الواقع كما كانت قضايا الأخير بحلوها ومرّها حيّة فيه أيضًا؛ ممّا أكسبه قدرة وصدقًا للتعبير عنها.

- ***الشموليّة***: الكتابة دون انفصال عن الحركة الثقافيّة الأدبيّة النّقديّة في العالم العربيّ ككلّ: آمنَ بولس أنّ الأدب الفلسطينيّ المحلّيّ لا ينفصل عن الأدب العربيّ عامّة، وأنّ الحركة الأدبيّة الفلسطينيّة، في مختلف مجالاتها وأماكن انبعاثها ونتاجها هي جزء عضويّ من المشروع الثقافيّ العربيّ، وهذا ما يصرّح به في مقالته "الأدب العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل- واقع وتصوّرات" إذ يتساءل: "ما هي الفلسفة أو الدوافع التي كمنت وراء شعرنا العربيّ الفلسطينيّ في حدود (1948)؟ وأين يقف هذا الشعر اليوم من مجمل الحركة الشعريّة العربيّة؟ وبالتالي من مشروع الحداثة؟ تستمدّ المساءلتان المذكورتان الشرعيّة من قلّة الدراسات التي كتبت في هذا الخصوص. ولكن نحن نقف عند هاتين المساءلتين يترتّب علينا أن نشير إلى أنّ شعرنا رغم ما فيه من خصوصيّة وفرادة فرضتهما عليه خصوصيّة وفرادة الظروف والمرحلة، هو في الأساس رافد من روافد النهر الأدبيّ العربيّ، سواء في مدّه أو في جزره، من هنا فهو يشترك رغم تميّزه في الكثير من السّمات العامّة والملامح مع الشعر العربيّ عامّة".[1]

- ***السهولة والدقّة***: والابتعاد عن الاصطلاحات المبهمة الشائكة- كان بولس واضحًا في صياغاته، يعتمد السهولة في الطرح، والدقّة في انتقاء الكلمات، سهل اللغة في نقده، صاحب رسالة، ولكنّه لم يتجرّد من حبّه للأدب واللغة؛ فإلى جانب اعتناقه الفكر الشيوعيّ الجهويّ الماركسيّ في نقده كان صاحب حسّ أدبيّ راقٍ ولغة أدبيّة خلّابة. وعن لغة بولس الأدبيّة يقول غنايم: "حبيب كناقد له لغة أدبيّة –

[1] يمكن قراءة المقالة في موقع مركز دمشق للدراسات النظريّة والحقوق المدنيّة، وقد نشر بتاريخ 16.06.2009، على العنوان التّالي: http://www.mokarabat.com/s6668.htm.

استعاريّة لعلّها مستلّة من هذا الفضاء الفلسطينيّ، أو الشاميّ الأشمل، تُذكّرنا بتأنّق النّقّاد السوريّين وتغندرهم، لكن تبقى فيها لغةُ الجليل بطبيعته الخلّابة، بشموخ جباله وانسياب وديانه واتّساع مروجه واخضرارها". [1] أيقن بولس "على طريقته، وبسليقة ابن البلد، أنّ أسماء البلاد هي أسماؤنا، وأنّ اللغة هي سيّدة البقاء، وهي مركّب أساسيّ في تشكيل هويّتنا الوطنيّة والثقافيّة. لذلك نراه، على طول مسيرته، يحرس اللغة ويحميها حتّى لا نتحوّل إلى غريبي الوجه واليد واللسان".[2]

ويلخّص البروفيسور محود غنايم تجربة بولس في النقد، والتي امتدّت على نحو أربعين عامًا، فيقف على ثلاثة عناوين يعتبرها دالّة عليه، وهي: أوّلًا موسوعيّته التي تُدهش قارئه من خلال دائرة واسعة من الاهتمامات في نقد الرواية والقصّة والمسرح والشعر والنقد والسيرة والموشّح، وكذلك التوزّع في العصور (القديم والحديث) والأقطار (فلسطين، سوريا، لبنان، مصر، وغيرها). ثانيًا: الارتجاليّة العذبة التي برزت في تقديمه للبرنامج الفنّيّ "بين الكلمات"؛ حيث كان يعتمد الارتجاليّة ويرفض أنْ يؤطَّر في قالب معيّن. وثالثًا: القدرة على التعميم، وهذه، على حدّ تعبير القاسم، مفازةٌ لا يستطيع أن يقطعها إلّا من تمتّع بنظرة شموليّة ورؤية بانوراميّة وهبة الوصل بين الماضي والحاضر والمستقبل، ومن يملك قدرةً خاصّة على التمييز بين الغثّ والسمين، ومن يستطيع أن يقرأ العناوين ويضع إصبعه على موضع الداء ويجسّ الألم وأن يُحيط بجوانب الموضوع كلّها ويأخذ من الأمور أهمّها.[3]

---

[1] من كلمة البروفيسور محمود غنايم في حفل التكريم, ويمكن قراءة الكلمة في موقع الحوار المتمدّن على العنوان التالي: http://www.ahewar.org/debat/s.asp?aid=277182&t=4.

[2] من كلمة د. عزمي حكيم؛ رئيس مجلس الطائفة الأورثوذكسيّة- الناصرة، في حفل التأبين.

[3] من كلمة البروفيسور محمود غنايم في حفل التكريم.

حبيب بولس أديبًا..

اعتُبر بولس في كتابه **قرويّات** أديبًا مُبدعًا، كان قد نشره أوّلًا كحلقاتٍ منفصلة متتابعةٍ في صحيفة الاتّحاد، ثمّ جمعها معًا لتشكّل فصولًا في كتاب جاء ليؤكّد على قضيّة أساسيّة مفادُها: أنّنا شعبٌ له أصول وجذور وله أصالة، وأنّ ما وصلْنا إليه اليوم من إنجازات في شتّى مجالات الحياة، ومن تقدّم حضاريّ، لم يأتِ من فراغ".[1] ويصرّح بولس أنّه حاول من خلال هذا الكتاب تقريب هذه القضيّة بعودته إلى الذاكرة وانتقاء بعض أحداث الماضي وتنسيقها وغربلتها وتوثيقها، لتكون عبرة لأجيال المستقبل الناشئة. هكذا، يعود إلى الذاكرة ليحيي الذكريات التي كادت تُنسى، معبّرًا عن حنينه إليها، إلى الماضي الناصع، نشأته الأولى، وتكوينه الأوّل، وقريته البكر بكلّ ما فيها؛ القرية البساطة والنّقاوة والمحبّة والإلفة والعشرة الطيبة، وهي أمور افتقدها في حاضره. لتلك القرية يُهدي بولس هذا الكتاب: "إلى حبّة العين، كفرياسيف، القرية التي أرضعتني الكرامة والتحدّي والصمود، والّتي علّمتني التواضع، وحبّ الوطن والناس، كي تظلَّ وطنيّة وللدنيا نوّارة".[2]

من كفرياسيف، إذن، ومن الزمن الماضي يستمدّ بولس زادًا ومخزن قوّة يمتح منه الصبر على زمن التخاذل والانكسارات والغيبيّات والأوهام والخيبات والتراجع والتشرذم؛ زمن العولمة الهارب من التاريخ. وإيمانًا منه بأنّ الانطلاق مرهون بالأجيال الشابّة الواعدة، يجعل كلامه في حلقات الكتاب موجَّهًا لابنه؛ إذ يتخيّله في كلِّ حلقة متسائلًا مستفسرًا عن أمرٍ ما، أو مشغولًا بأمر ما، ويجيبه مستحضرًا ما كان في الماضي. ويصرّح بولس بأنّه يوجّه الحديث إلى الشباب الصغار "كي يتعلّموا من الماضي، من تجاربنا الكثيرة الّتي تعمّدنا فيها، وكذلك ليتعلّموا من عثراتنا، فرغم تلك

[1] هذا ما ورد في مقدّمة الكتاب: بولس، 2004، ص 5.

[2] بولس، 2004، ص 3.

التجارب المُرّة القاسية، ورغم جحيم المقلاة، ما هنَّا يومًا ولا أصابنا يأسٌ".[1] ثمَّ يوجّه كلامه إلى أبناء هذا الجيل فيقول: عليكم نتّكل ونعقد الآمال العراض في رتق ما اهتراً من خيوط عباءتنا وما تفتّق منها، وفي ردّ الهيبة والبهاء إلى حطّتنا التي بهتت ألوانها. لا نريدكم أنْ تجترّوا الماضي فقط، بل نريد لكم التقحّم بلا تهيّب ولا تخوّف. أملنا أن تعتزّوا بما كان، ولكن دون أن تُكرّسوه، بل لتجعلوه رافعةً تقفزون منها إلى ما نطمح له أن يكون".[2]

هكذا، يأتي كتاب **قرويات** ليكشف لنا نوستالجيا (حنينًا) غير عاديّة عايشها حبيب بولس، مسجّلاً تفاصيلَ بدأت تختفي من أجواء قرانا ومدننا العربيّة، من علاقاتنا وممارساتنا اليوميّة، من شوارعنا وبيوتنا، من ألعابنا وتسالينا، ومن وسائل تنقّلنا، من مدارسنا، من معلّمينا، من أفراحنا وأتراحنا، من مفاهيمنا السياسية ووطنيّتنا، من مواسمنا وسهراتنا، من أعيادنا وعقائدنا الدينيّة، من ثقافتنا وفنوننا ونضالاتنا.[3]

نثر بولس قرويّاته في خمس عشرة حلقة تنفردُ كلٌّ منها بعنوانها ومضمونها: بيتُنا المُقَنْطَر، ألعابنا، مدرسة الوقف، المدرسة التحتى، المدرسة الثانويّة، تعاليلُنا، سهرة العروس، الزفّة والإكليل، وطنيّات، موسم الزيتون، المواسم الصيفيّة، أعيادنا الشتويّة، أعيادنا الربيعيّة، السينما والتلفزيون، بانيها حلونجيّ، وحبّة العين. تقوم كلّ واحدة من الحلقات على عرض تخيّل الابن مستفسرًا أو مشدودًا إلى أمرٍ ما؛ ممّا يُعيد الأب إلى الزمن الماضي مؤكّدًا على مشاعر حنينه الجارف لذلك الزمن، مستحضرًا الإجابة، وعارضًا تميّز ذلك الزمن، ليشحن ابنه، وأبناء كفرياسيف، وأبناء

[1] بولس، 2004، ص 7.

[2] بولس، 2004، ص 7.

[3] عودة، "قرويّات حبيب بولس بين الحنين والجذور". 2007.

الشعب العربيّ الفلسطينيّ عمومًا بالغيرة على ذلك الزمن والرغبة في استعادة قيمه وترسيخها من جديد.

وما يلفت الانتباه في هذا الكتاب أنّ الكاتب يصبّ فيه من أجناس أدبيّة متنوّعة؛ ممّا يفسح المجال للدارسين بتصنيفه في أكثر من مجال، فيرى نبيل عودة أوّلًا أنّ بولس يبرز في هذا الكتاب ككاتب تسجيليّ عن قريته كفرياسيف، ولكنّه مليء بروح إبداعيّة دراميّة، مقدِّمًا لوحة ثقافيّة، أشبه بالرواية الحيَّة، لقرية تعتبر من طلائع قرانا العربيّة في التقدّم التعليميّ والثقافيّ والاجتماعيّ.[1] ثمّ يؤكّد على قربه من الرواية، ويعتبر كفرياسيف بطلًا، والراوي بطلًا إضافيًّا يُذكّرنا بأيّام الخوالي، وشخصيّة الراوي أو الحكواتي التي عرفتها قرانا وسهراتنا أيّام زمان، ويجعل من هذه الشخصيّة ذاكرة للزمن أيضًا، يستعين بها الراوي- الكاتب لينقل للأجيال الجديدة، أصالة الماضي وأصالة الإنسان، وأصالة الشعب وليس فقط الحنين الذاتيّ (النوستالجيا). يقول عودة إنّنا "في قرويّاته نكتشف حبيب بولس الآخر، حبيب الحالم، نصًّا ولغة، فنراه يقترب من لغة القصّ في سرده، ليتغلّب على السرد التوثيقيّ والتاريخيّ، ونراه يستطرد في إعطاء النماذج والحكايات ليجعل قرويّاته أكثر قربًا للرواية والدهشة الروائيّة وعناصر التشويق الحكائيّة، وليس مجرّد تسجيل توثيقيّ للذاكرة".[2] ويعتبر عزّت فرح الكتاب كتابًا تعليميًّا تهذيبيًّا تثقيفيًّا يوصي بأن يقوم أبناؤنا بقراءته والتعلّم منه.[3] ويضيف عودة أن بولس، في قرويّاته، "يرسم لوحة نثريّة إن صحَّ هذا التعبير، لقرية عَلَمٍ من قرانا، كانت عَلَمًا سياسيًّا وعلمًا ثقافيًّا، وهو بذلك يضيف

[1] عودة، 2007، نفس المصدر.

[2] عودة، 2007، نفس المصدر.

[3] فرح،" كتاب قرويات للدكتور حبيب بولس"، موقع المدار:
http://www.almadar.co.il/news.aspx?cid=141&aid=32657. تاريخ النشر: 04.12.2012.

لها بعدًا جديدًا، علمًا تراثيًّا أصيلًا، وربما يريد أن يقول لنا إنَّ هذه الأصالة التي عرفتها كفرياسيف، هي أصالة دائمة لا تنتهي، إنّما تتحوّل وتنطلق نحو أصالات جديدة دومًا".[1]

ونحن إذ ندقّق في قراءة قرويّات بولس نراه قاصًّا، كاتبَ ذكريات، موثّقًا، مؤرّخًا، وصاحب معجمٍ؛ فالكتاب لا يخلو من عناصر القصّ والسّردِ والحوار، يقترب في أجزاء كثيرة منه من الفنّ القصصيّ خصوصًا حين نقرأ مقتطفات مختلفة وأحاثًا وقصصًا من الزمن الماضي، مثلًا حين يُحدّث ابنه عن إحدى الحصص التي كانت عن موضوع التكاثر عند الحيوانات والتساؤل عن معنى كلمة شبق الّتي سمعها بولس وزملاؤه في الصّفّ للمرّة الأولى.[2] على أنّنا في غالبيّة صفحات الكتاب نرى جانر التوثيق والمذكّرات وتسجيل المواقف الفريدة والأحداث والانطباعات التي مرّت عليه في حياته. كما لا يمتنع بولس عن التأريخ، إذ يلجأ في مقاطع عديدة إلى تسجيل أحداث حقيقيّة تاريخيّة مرّت بها كفرياسيف الجليليّة وفلطسين في الدائرة الأعمّ، مقتحمًا المواضيع السياسيّة الشائكة دون خوف، لا سيّما في الفصل الأخير من الكتاب وخوضه المضامين الوطنيّة والسياسيّة، وحديثه الصريح عن كفرياسيف التي يشهد تاريخها الحافل "على أنّها كانت الصخرة التي تحطّمت عند أقدامها كلّ مؤامرات السّلطة ومُهاتراتها"،[3] والتي "نذرت نفسها منذ عام النكبة حصنًا صمد في وجه سياسة القلع والإبعاد والتهجير، فكانت الصوت المرتفع الذي أهاب بأبناء شعبنا للتشبّث بكلّ حفنة تراب في هذا الوطن".[4] هكذا يتحدّث عن نضالها في المجال

[1] عودة، 2007، مصدر سابق.

[2] بولس، 2004، ص 45.

[3] بولس، 2004، ص 184.

[4] بولس، 2004، ص 185.

السياسيّ، ثمّ في المجال الفكريّ والثقافيّ، ففي "حلكة القطيعة مع العالم العربيّ، وفي ذروة سياسة التعتيم والتجهيل كانت تجيش فيها حركة ذات شأن، تركت أثرها على الشباب.[1] ويؤكّد بولس أنّ حديثه عن كفرياسيف لا يعني التشرنق والتقوقع، أو سلخها عن تراث الشعب" بل على العكس تمامًا، الهدف منه هو جعل كفرياسيف مرآة عاكسة لنضال شعب كامل سطّر بمقاومته صفحات ناصعة زيّنت جبين هذا الدّهر".[2]

وإلى جانب هذه الأنواع الأدبيّة التي يعرّج عليها بولس في هذا الكتاب وما نلاحظه من اقترابه أيضًا من فنّ السيرة، أرى فيها جانبًا لا يقلّ أهمّيّة، ويحتاج للاهتمام والبحث والدراسة المعمّقة، وهو كونه يُشكّل ما يشبه المعجم التراثيّ الشعبيّ ومستودعًا للألفاظ التراثيّة في شتّى المجالات والأغاني الفولكلوريّة التراثيّة، أيضًا، لا سيّما تلك التي كانت تُغنّى في الأعراس وفي المناسبات الخاصّة، وكأنّ بولس بهذا أراد حماية هذه اللهجة العامّيّة الجليليّة من الضياع في ظلّ الاحتكاك باللغات الأخرى. ولو اتّخذنا، على سبيل المثال، الحلقة الأولى من الكتاب، وهي عبارة عن تسع صفحات نلاحظ أنّها تحتوي على ما يزيد عن مئة وعشرين كلمة عامّيّة؛ أي ما يزيد عن عشر كلمات في الصفحة الواحدة. ومنها: "شعريّة" أو "سطيحة" كما كانت تُسمّى، "طرّاحة"، ""صوص ونقطة"، "الشنكل"، "الزير"، "المنشل"، "الجرّة"، "البوطة"، "الشّربة"، ""الطّاسة"، "الرّحى"، "الإسطبل"، "الطوالة"، "المعزبة"، "السمندرة"، "المهباج"، "السكريّة"، "السلخ"، "الجاعد"، وغير ذلك الكثير من التعابير التي لا يوردها بشكل سريع وخاطف؛ إنّما يذكرها عمدًا، ويفردها بين قوسين لتبرز للعين، ويشرح الكثير منها، ولو تتبّعنا الكمّ الهائل من هذه التعابير وشروحاتها سنخرج بمعجم لغويّ تراثيّ نُفرد

[1] بولس، 2004، ص 185.

[2] بولس، 2004، ص 186.

فيها فصلًا لأسماء أدوات كانت مستعملة ومشهورة، وآخر للألفاظ المتعلّقة بمباني البيوت وزواياها وأجزائها، وآخر للألفاظ المتعلّقة بالألعاب، وآخر لأسماء النباتات وغيره للأمثال الشعبيّة المشهورة، وآخر للأغاني الفولكلوريّة وما إلى ذلك. هكذا، يُغنينا بولس بفيض من الأجواء القرويّة والألفاظ القرويّة واللغة القرويّة، رغبة منه في تخليدها للأجيال القادمة، وها نحن نقرؤه في الفصل الأخير مخاطبًا ابنه حول دوافع كتابة حلقات قرويّاته إذ يقول: "وأضيف خشيتي عليك وعلى أبناء جيلك من بريق الحضارة وزيفها، وخشيتي عليكم من أن تلهيكم هذه الحضارة عن الأصول – إذ ما من شيء يا بنيّ يأتي من فراغ، كما أنّ ما من شيء يأتي بسهولة".[1]

ويرى الباحث نمر نمر أنّ أسلوب بولس "الشائق/ المشوّق/ البسيط/ الجذّاب/ الأخّاذ/ السهل، يشحنك بشحنات برغبةٍ قويّة للعودة إلى هذا الماضي القريب، وما طرأ عليه في عصر العولمة والحوسبة والكمترة، لتقول مع الجدّات والأجداد، سقى الله أيّام زمان، قلّة وبسط".[2] كما يرى نبيل عودة أنّ التغيير الذي يرصده بولس كان أعمق من الشكل، لدرجة أنّه شكّل لنا مضامين جديدة، أفكارًا جديدة، رؤية سياسيّة جديدة، ثقافة جديدة، أطعمة جديدة، بل ولغة جديدة أيضًا في مفهوم معين. كأنّي به يرصد التاريخ والعوامل "التاريخيّة" والثقافيّة التي غيّرت مسقط رأسه، قريته الجليليّة "كفرياسيف" بشكل خاصّ وغيّرت واقع بلداتنا كلّها بشكل عامّ، وغيّرتنا نحن (الناس) في الحساب الأخير".[3]

---

[1] بولس، 2004، ص 184.

[2] نمر نمر، "قرويّات حبيب بولس". موقع الجبهة:
http://webcache.googleusercontent.com/search?q=cache:QVEw38bY2uMJ:www.aljabha.org/%3Fi%3D64849+&cd=1&hl=iw&ct=clnk&gl=il. تاريخ النشر: 06.01.2012.

[3] عودة، 2007، مصدر سابق.

إجمال

يُمكننا أن نجمل بأنّ حبيب بولس، بما تركه من ثراثٍ واسعٍ وهامٍّ في شتّى المجالات، شكّلَ أحد أعمدة ثقافتنا العربية داخل إسرائيل، وكان أحد الأعمدة المركزيّة في حركتنا النقديّة؛ كونه قد خصّ معظم أعماله النقديّة وكتاباته التنظيريّة لطرح قضايا ثقافية من صميم ما يؤثّر على مسيرتنا الثقافيّة؛ سلبًا أو إيجابًا.[1]

أمن بولس بالتواصل بين الحقب الزمنيّة فأتت دراساته ممتدّةً من الأدب القديم إلى الزمن المعاصر وآدابه، باعتبار ما مرّ به الأدب من مراحل تطوّر هو نسيج متشابك مترابط لا يُمكن تجزئته. كما آمن بالتواصل بين الحضارات فاتّسعت مساحات دراساته منطلقة من الحيّز المحلّي إلى العالميّ، هذا إلى جانب ما نجده عنده من تواصل بين الأنواع الأدبيّة؛ إذ نراه ينتقل من النثر إلى الشعر وما بين الأنواع الأدبيّة المختلفة ليقف على الرابط المشترك بينها جميعًا مضمونًا وفكرًا واهتمامًا. هكذا يتخطّى بولس الاهتمام الراهن الآنيّ بالزمن المعاصر وآدابه، ويرفض التحديد والتقيّد صابًّا نشاطه في الجوانب الفكريّة الثقافيّة النقديّة والأدبيّة، مشكّلًا بذلك أساسًا تقوم عليه حركة النقد الأدبيّ العربيّ الفلسطينيّ.

[1] عودة، 2007، مصدر سابق.

ثبت المراجع:

- تجدر الإشارة أنّني اعتمدتُ في كثير من المواضع على ما ذُكرَ في كلمات تكريم الناقد حبيب بولس، ثمّ تشييعه، ثمّ تأبينه. وقد تمّ تجميع المقالات في كتابٍ أصدره مجلس الطائفة العربيّة الأرثوذكسيّة- الناصرة، ومؤسّسة توفيق زيّاد للثقافة الوطنيّة والإبداع، والحزب الشيوعيّ والجبهة، ومؤسّسة محمود درويش للإبداع، ومجمع اللغة العربيّة، ومعهد إميل توما للدراسات الفلسطينيّة والإسرائيليّة.
- بولس، حبيب. **دراسات في الأدب العربيّ**. عكّا: مكتبة ومطبعة السروجيّ، 1978.
- بولس حبيب. **موشّحات الأعمى التطيليّ**. حيفا: الكلّيّة العربيّة للتربية، 1996.
- بولس، حبيب. **أنطولوجيا القصّة العربيّة الفلسطينيّة القصيرة في إسرائيل**. سخنين: د.ن، 1998-1999.
- بولس، حبيب. **قرويّات**. الناصرة: د.ن، 2004.
- بولس، حبيب. "الأدب العربيّ الفلسطينيّ في إسرائيل- واقع وتصوّرات". موقع مركز دمشق للدراسات النظريّة والحقوق المدنيّة، 2009.
- بولس، حبيب. "مشافينا الأهليّة كم هي بحاجة إلى دعمنا". موقع الجبهة، 2012.
- شلش، بشير. "الطبعة الثانية **لأنطولوجيا القصّة الفلسطينيّة القصيرة في إسرائيل** لد. حبيب بولس". موقع الجبهة. 2012.
- عودة، نبيل. "مساهمة في تكريم الأديب الناقد د. حبيب بولس". **الحوار المتمدّن** العدد 3637، 2012.
- عودة، نبيل. "قرويّات حبيب بولس بين الحنين والجذور". **الحوار المتمدّن**، العدد 2021، 2007.
- فرح، عزّت. "كتاب قرويّات للدكتور حبيب بولس". موقع المدار، 2012.
- نمر، نمر. "قرويّات حبيب بولس". موقع الجبهة، 2012.